صفحة جديدة

# من تاريخ الثورة الدرزية

## ١٨٣٤–١٨٣٨

### كما تظهر في محفوظات سراي عابدين الملكية

للدكتور اسد رستم

ان الجلالة المغفور له ، الملك فؤاد الاول ، فضلاً على علم التاريخ وذويه يعترف به كلّ من رافق النهضة العلمية في مصر في طورها الاخير. فانه ما كاد يرتقي العرش حتى وجّه عنايته الى تنشيط اعمال الجمعية الملكية الجغرافية ، فاعانها بماله ، وعضدها بسطوته وصولته ، حتى تمكنت من جمع تقارير قناصل الدول في مصر ، وفي بعض البلدان المجاورة لها ، في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ثم عهدت بنشر هذه التقارير الى بعض رجال الاختصاص ، فظهر منها اكثر من خمسة وعشرين مجلداً. واصبحت هذه الحقبة من تاريخ القطر الشقيق غنيّة في مصادرها الأوّلية ، تفوق من هذه الناحية جميع الحقبات في تاريخ مصر وفي تاريخ غيرها من الاقطار العربية .

وقد كانت مكتبة السراي الملكية في عابدين مهجورة في عهد بعض اسلافه في الحكم ، فاهتمّ باصلاحها ، وعهد في ذلك الى صديقي المرحوم الدكتور غريفيني ، المستشرق الايطالي ، وطلب اليه ان يجعلها مكتبة تاريخية يؤمّها الباحثون في تاريخ مصر. فاصبحت ، بفضل رعاية المليك الراحل وتنشيطه وتشجيعه ، اكمل مجموعة في العالم لتاريخ مصر في عهد محمد علي باشا وبعض احفاده. وقد وجدت فيها من الكتب الاوربية ما لم اجده في اكبر دور الكتب في اوربة واميركة .

وقل الامر نفسه عن اوراق الحكومة المصرية في عهد والده اسماعيل ،

وجده ابراهيم ، وجده الاكبر محمد علي باشا . فاني اذكر بوضوح تام اني لما زرت مصر ، عام ١٩٢٥ ، لتمثيل جامعة بيروت الاميركية في المؤتمر الدولي الجغرافي ، صعدت الى القلعة لتفقد احوال الدفترخانة المصرية . فوجدت اوراقها وسجلاتها مكردسة بعضها فوق بعض في اكياس من «الجنفيص» لا يؤمها سوى الجراذين والثعابين . وقد اكّد لي احد ضباط القلعة من الانكليز ، الذي قادني الى هذه الغرفة المهجورة ، أنه لما دخلها قبل زيارتي بيومين او ثلاثة مع احد المستشرقين ، لاحظ حركة مريبة في احد اكياس الاوراق . فامر بفتحه وما ان فتح هذا الكيس حتى انسلّ منه ثعبان طويل كان قد سئم المطالعة والتفتيش ، لما عاناه من المشقة للوصول الى ضالّته ، ولما اعترضه من الغبار المتراكم زهاء نصف قرن من الزمن .

وكان قد قيّض الله لمصر ان ولي الاحكام فيها فؤاد الاول فامر بجمع هذه الاوراق وتنظيفها وتنسيقها ، ثم نقلها الى سراي عابدين وانشأ لها دائرة تختص بها . وهكذا فاني لما عدت بعد عشر سنوات الى هذه الاوراق نفسها لدرس اخبار الحملة المصرية على الاقطار الشامية ، في عهد محمد علي باشا ، وجدتها مرتبة احسن ترتيب ، سهلة المنال . وقد قام من ابناء مصر ، برعاية المليك الواعي وتشجيعه ، عدد من الموظفين «الواعين» لدرس محتويات هذه الاوراق وتنظيمها ، وتسهيل الوصول اليها ، اخص بالذكر منهم يوسف جلاد بك ، وجورج جندي افندي ، وجورج سمعان افندي ، ومحمد علي عوني افندي ، وغيرهم ممن يشتغل بيدوه تم ولا يحدث ضجيجاً لما يقوم به من الاعمال ، دأبه التنسيق والترتيب ودرس المحتويات وتسهيل اعمال الباحثين من طلاب التاريخ . هذا واني اعلم العلم اليقين انه لو اطلعت احد هؤلاء العاملين الامناء على ما ادونه عنهم الآن لاعترضوا عليه والحوا في عدم الاشارة اليه ، لما طبعوا عليه من التواضع وحسن الاخلاق والانصراف الى العمل الجدي . كثر الله من امثالهم بين موظفي حكومات الشرق العربي جمعاء !



وجدت في سراي عابدين اكثر من خمسة عشر الف وثيقة ترجع الى عهد

الحكومة المصرية في الاقطار الشامية . وقد نشرت تقريرًا ضافياً رفعته الى جلالة المليك الراحل عن اسباب الحملة المصرية على برّ الشام كما تظهر في هذه الاوراق . وانجزت منذ اسبوع تقريرًا آخر سارفعه الى اعتاب حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم فاروق الاول عنوانه «محفوظات عابدين الملكية والثورة بفلسطين عام ١٨٣٤» . وفي اثناء اقامتي في مصر ، في العام الفائت ، وجدت عددًا لا يستهان به من الاوراق السرّية التي تتعلق باخبار الثورة الدرزية على ابراهيم باشا وحكومته في هذه البلاد . فاحببت ان انشر بعضها على صفحات مجلة «المشرق» ، واعلق عليها تعميماً لفائدتها ، واظهارًا لبعض محتوياتها المجهولة ، ولا سيما ما يتعلق منها ببعض اسباب الثورة المشار اليها .

ويجدر بنا ، قبل ان ننشر نص هذه الاوراق السرية ان نأتي على ذكر اسباب الثورة الدرزية كما عرفها المؤرخون حتى هذه الساعة . قال صديقي المرحوم سليمان بك ابو عز الدين ، وهو آخر من عُني بالثورة الدرزية ما خلاصته :

«كثيرون من السوريين أملوا الخير من وراء تغلب حملة ابراهيم باشا على بلادهم لان من مزايا حكومة محمد علي العمل على اقرار الامن في البلاد واتقاذها من الفوضى التي جعلت ارواح العباد واموالهم تحت رحمة الاقوياء والاشقياء . كما ان ابراهيم باشا كان قد وعد السوريين بانه سيعفيهم من التجنيد ويخفض الضرائب ولا يكلفهم سوى دفع الاموال الاميرية . والاموال الاميرية لم تكن عبئًا ثقيلًا عليهم في عهد الحكومة العثمانية الا لما كان يرافقها من سوء المعاملة في التحصيل وابتزاز المبالغ الاضافية بحجج مختلفة . وكان ابراهيم باشا قد حقق بعض الآمال على اثر احتلال سوريا والشروع في ادارة احكامها فخفف عنهم الاثقال المالية واخذ ينشط الزراعة والتجارة . فبدأ القوم يشعرون بالطمأنينة والرخاء وبالاخلاص للحكومة الجديدة غير ان زمن الهناء والرخاء لم يطل . فقد ذكرنا في فصل سابق ان من اهم الاسباب التي حملت محمد علي باشا على الطموح الى الاستيلاء على سوريا هو رغبته بالانتفاع بما فيها من مال ورجال ولذلك لم ينقض زمن طويل على امضاء معاهدة كوتاهية وعلى الخطة الحكيمة التي كان ابراهيم باشا قد انتهجها في ادارة البلاد السورية حتى وردت عليه اوامر والده قاضية على آمال السوريين موجبة عليهم الخضوع للسياسة العسكرية والاقتصادية التي جرى عليها في القطر المصري . فالاوامر التي اصدرها محمد علي الى ولده ابراهيم باشا في اوائل سنة ١٨٣٦ اوجبت اجراء ما يلي :

١ – احتكار الحرير في البلاد السورية .

٢ً – تحصيل « الفردة » اي فريضة الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم
٣ً – التجنيد في البلاد الساحلية
٤ً – نزع السلاح من ايدي اهل البلاد

اما الذي حمل حكومة محمد علي على التشدد في امر التجنيد في سوريا فهو ان الدولة العثمانية كانت تحشد جنودها على مقربة من حدود سوريا الشمالية بحجة مقاتلة ثوار الاكراد فاستعداداً للطوارئ بادر محمد علي الى تقوية جيوشه في سوريا واصدر اوامره بتعميم التجنيد فيها وبمقتضى ذلك النظام طلبت حكومة دمشق من دروز حوران مائة وسبعين جندياً مع انها لم تكلفهم التجند في سنة ١٨٣٦ لشعورها بحاجتهم الى الرجال لدفع اعتداء العربان المحيطين بهم من كل جانب لان الدروز انفسهم كانوا يقومون في بلادهم بما هو من واجب جنود الحكومة ورجال شرطتها فيتولون حفظ الامن في الداخل والدفاع عن حوزتهم عند وقوع اعتداء من الخارج . وحالتهم في سنة ١٨٣٧ لم تتغير عما كانت عليه في سنة ١٨٣٦ فتجنيدهم وتكليفهم المقدمة في اماكن بعيدة عن جبلهم يتما جيرانهم من عربان البادية يسرحون ويمرحون لا مبرر له من جانب الحكومة لان عدم تجنيد مائة وسبعين رجلاً ليس له تأثير محسوس في قوة الجيش . فالذي يتبادر الى ذهن الباحث هو ان حكومة محمد علي اتخذت مسألة التجنيد ذريعة للتحرش بدروز حوران توصلاً الى اغراض اكثر اهمية من الحصول على مائة وسبعين جندياً . فجبل حوران واللجاة كانا في ذلك الزمان ملجأ لكل خائف من جور الحكام او ثائر على الحكومة ومعقلاً يعتصم به الفارون من التجنيد والمتناصرون من حمل الضرائب الثقيل حتى ان قرى عديدة في جبل الكرمل خربت في ذلك الوقت وانتقل اهلها الى جبل حوران لينجوا من الضرائب الثقيلة وشدة وطأة التجنيد وفي ذلك خسارة جسيمة على الحكومة في المال والرجال . فلذلك رأت الحكومة ان تدويخ دروز حوران يثبت قدمها في جبلهم وفي اللجاة ويمكنها من ايقاف تيار اللاجئين اليها ومن فرض التكاليف العسكرية والمالية عليهم وتمهيد السبيل لبسط سلطتها على ما وراءهم من العربان . .

واليك الآن ما وجدناه في عابدين مما يتعلق بالثورة الدرزية :

اولاً : محفظة ٢٥١ عابدين رقم ١٧ بتاريخ ٥ محرم سنة ١٢٥١

الامير بشير الى ابراهيم باشا

ولي النعم افندم سلطانم المعظم ادام الله تعالى دولته

عب لثم الاذيال يعرض عبد بابكم انه قبل هذا اعرضنا لدولتكم اننا جميعنا عبيدكم اكابر الجبل الدروز من امرا ومشايخ ووجوه واقفناهم على اوامر دولتكم بطلب انفار للعسكرية ووزعنا اورطه ثمانماية نفر على جميع المحلات التي فيها دروز قريةً قريةً كما شرحنا ذلك بعرضحالنا المتقدم وانهم توجهوا من

عندنا على انهم يبادروا لاتمام هذه المامورية والذي نعرضه الان انه من بعد توجههم بيومين ظهر بين طوايف الدروز مراسلات من مقاطعة الى مقاطعة ومن قرية الى قرية وكلام داير بينهم انهم يسترحمون بتقديم الرجا برفع هذا المطلوب عنهم بدفع مالو بدلًا عن ذلك او انهم يتعهدون ويوثقون على انفسهم بانهم يكونوا مستعدين لخدمة دولتكم بتقديم عساكر تتوجه الي اي محل امرتم من دون تقصير ولا تاخير وانه اذا ما حصلت لهم الرحمة بذلك يتشتتون في جميع الاقطار ويهربون الى غير ديار وحاصل منهم مشاورات واجتماعات سريه وكلامهم بالظاهر كما اعرضنا فهذا واقع الحال والذي نتج انهم بالرضى لا يعطوا الانفار المطلوبة ونحن الى حد الان ما علمنا كيفية امر دولتكم فهل انهم اذا قدموا الرجا والاسترحام بدفع مال بدلًا عن الانفار ام اذا تعهدوا بتقديم عسكر متى طلب منهم يقبل ذلك منهم ام لا واذا كان ذلك لا يقبل منهم وابدوا المحاوله والمماطله هل نظهر لهم الشدة ام لا وحيث اني عبد رق لهذه الدولة السعيدة وليس لي مقصد ولا مارب الا دوامي تحت ذيل الرضى واكون ساعياً ومجتهدًا بكلما فيه نفوذ امر عنايتكم تجاسرت بتقديم هذا العرضحال لكي تامروني بما يستحسن لدى دولتكم لاسعى به وحتى اذا سولت منهم اجابوهم بما يوافق امر سعادتكم وايد الله تعالى اركان دولتكم افندم في ٥ م ٢٥١

بنده
بشير شهاب

وقد وجدنا في المحفظة نفسها ، بتاريخ ٨ محرم من السنة نفسها ، تعليقاً لابراهيم باشا على كلام الامير اهمّ ما ورد فيه ان الدروز رجال بأس ونشاط لا يتهربون من الحرب والقتال. لكنه يخشى انه ، اذا بقيت اسلحتهم في ايديهم، تكون خطرًا على الامن في البلاد .

وفي رسالة اخرى من ابراهيم باشا الى والده بتاريخ ٢١ محرم من السنة نفسها، ترى ان الباشا اوفد حنا بحري بك الى الامير بشير ليقنعه بوجوب التجنيد. واليك نص التقرير الذي رفعه بحري بك الى دولة ولي النعم السر عسكر المعظم ابراهيم باشا :

ثانياً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة ١٠٠/٢١ ٣ بتاريخ ٤ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري
الى : ولي النعم

يعرض عبدكم ما يلي :

انه على نحو ما جاء بعريضة عبدكم السابقة المفصلة ، عندما شاهدت هذه الحالة من الدروز سألت عبدكم الأمير بشيرًا عما يرتئيه فيما اذا علم الدروز أن الجنود تتحرك من البقاع وبعلبك وما اليها ، ولم يعمدوا الى التسليم فكان جوابه : لا شبهة لدي في أن موقف التذبذب الذي يقفه الآن الدروز ليس معناه أنهم ينتوون العصيان وانما ذلك لمجرد تمسكهم بديانتهم ، والذي يؤيد هذا الرأي هو ما يشاهد فيهم من الخوف ، واني لأذهب في الظن الى درجة اليقين أنهم اذا ما سمعوا أن الجنود زاحفون وأنهم وصلوا الى بعض الجهات ، سيعمدون الى التوسل ويعرضون تقديم كل ما يطلب منهم وعلى فرض انهم اصروا على رأيهم ، وصدر الأمر بضربهم ، فاني أسير بنفسي في طليعة الجند حيث نؤدبهم ونأخذ الرجال الذين نريد أخذهم منهم. واذا كان هؤلاء الدروز قد عجزوا عن مقاومة عساكر الوزراء السالفين الذين جمعوا من هنا وهناك كيفما اتفق فكيف يقدمون الآن على المقاومة بينما النصارى ليسوا معهم. فأجبته : هل أنتم على يقين من أنه لا يوجد معهم أحد من النصارى ، واذا ما انضم النصارى اليهم عند الضيق أتستطيعون ابعادهم عنهم ، فرد علي يقول : عندما علمت أن الدروز يعملون الاتفاق مع النصارى كتبت الى النصارى أقول لهم : لا علاقة لكم في هذا الموضوع فاحذروا التدخل فيه ، واكدت عليهم في ذلك وهم الآن في حالهم . وحتى — من قبيل فرض المحال — لو اندمج في الدروز بعض النصارى الذين لا يعرفون قدر أنفسهم فاني استطيع ، اقناعهم

هذا وبالنظر لما تحققه عبدكم ممن يعتمد عليهم من النصارى الذين حادثتهم في خلال مدة الأيام الثلاثة أو الأربعة التي مكثت فيها ، فهت يقيناً أن

جميع النصارى عاملون بموجب تنبيه الأمير بشير وسوف لا يتدخلون في أمور الدروز ، ولا يخالفون أمر الأمير المومأ اليه ، ولذا ، تقدمت الى عرض الموضوع .

عبدكم
(المتم) يوحنا بحري

ان الأمرين الخديويين الصادرين في هذا الموضوع قد أعيدا من طيّه بدون أن يطلع عليهما أحد وفقاً للارادة السنية .

ثالثاً : محفظة ٢٥١ عابدين ترجمة الوثيقة رقم $\frac{١٠٠}{٢١}$ ٣ بتاريخ ٤ صفر سنة ٢٥١

من : يوحنا بحري
الى : ابراهيم باشا

يعرض عبدكم ما يلي :

في مساء يوم السبت الموافق السابع والعشرين من شهر محرم سنة ٢٥١ تلقيت ارادة ولي النعم المؤرخة ٢٢ محرم سنة ٢٥١ المقضية بوجوب قيامي لمقابلة عطوفة الأمير بشير لتبليغه ارادتكم السر عسكرية بشأن العساكر المطلوبة من الجبل ، وتفهيمه كيفية الثقة التي منحها وتلقينه ما تقتضيه ، مع اقناعه في ذلك ، وفقاً لما جاء بالأوامر السنية الصادرة من قبل الخديوي الأعظم ، ولما اطلع عبدكم على ما احتوته ارادتكم السامية ، بُتُّ في اليوم التالي الأحد ما كان بين يدي من الأعمال وقمت في صباح يوم الاثنين من الشام ، وفي ضحى يوم الأربعاء وصلت الى بيت الدين حيث يوجد الأمير المومأ اليه وعندما بلغته ارادتكم السرعسكرية بتمامها قام بأداء الشكر على نعمة الثقة وعبوديته ودعا الى الله بدوام أيام عمر دولتكم والتمس أن يوفق حتى آخر العمر في خدمة ولي النعم ثم قال: « من البديهي أنا وأولادي واحفادي ، قد وقفنا انفسنا على تنفيذ واجراء منطوق أوامر مولانا ، وسنبذل الجهد في سبيل القيام بهذه الخدمة الموجبة للفخر ، واني لأرجو من لطف الباري أن يوفقني الى أداء هذه

المهمة بانعطاف قلب ولي النعم المبارك وحسن توجهاته ، ولقد اقنعت شيوخ الدروز تارة بالشدة ، وطوراً بالترغيب بوجوب تقديم أورطة مكونة من ثمانمائة رجل في الوقت الحاضر ، من الألف وخمسمائة رجل الذين طلبوا منهم بالحسنى في المرة الأولى ، وذلك وفقاً لما استأذنه ولدي الأمير أمين من أعتاب ولي النعم ، ولئن أظهر جهال الدروز أي رعاعهم في مبدأ الامر ترددًا ان يتملصوا بعد تعهد الشيوخ ، الا اني ارى من الواجب عليَّ ان اعود فاجمع شيوخ العقل لدى الدروز واقنعهم واتوسل بجميع الطرق المؤدية الى تسهيل امر هذه المهمة عملًا بالارادة السنية ، على ان هذه المصاعب انما تعاني من جراء تعلق الدروز بديانتهم ، لان المجزوم به ان شيوخهم وان كانوا يظهرون بمظهر المقتنع ويتظاهرون بالامتثال الا انهم في الباطن لا يسمحون لانفسهم — من الناحية الدينية — بجمع الانفار وتقديمهم نظرًا لاعتقادهم بان هؤلاء الانفار سيتخلون عن ديانتهم باندماجهم بين العساكر . ولما كان من المعلوم انه لا يمكن ان يعهد الى النصراني بالقبض على الدرزي وحيث ان هنالك بين الدروز ، عدا العوامل الدينية ، ذاك التباعد والنفور المتأصلين في نفوس الاهالي عامة من النظام . فانهم سيسلكون طريق المحاولة ما لم يروا الشدة والصلابة التي تخيفهم ويعمدون الى التجمع والفرار وما الى ذلك من الحالات التي من شأنها ان تشل حركة هذه المصلحة ، وقد سبق لي ان استأذنت من أعتاب ولي النعم ، في عريضتي التي اقدمت على رفعها ، عما تقتضيه الارادة فيما لو ظهرت منهم مثل هذه الحالة بسبب عدم قبول ملتمسهم ووجب الامر معاملتهم بالشدة والخشونة ان الرغبة في اقناع شيوخ الدروز بوجوب تقديمهم الانفار المطلوبة من تلقاء انفسهم والسعي للحيلولة دون تدمير اهالي جبل الدروز بقوة مولانا القاهرة الباسلة وصدور ارادته السرعسكرية القاطعة بالالتجاء الى اخذ هؤلاء الانفار بالقوة والشدة ، يحكم الاضطرار ، فيما لو تقاعد الشيوخ عن تقديمهم بالحسنى ، انما منشأه مرحمته وشفقته الاكيدة على رعيته ، وهبه الله عمرًا لا يفنى . على انه ما دام هذا المتخذوذ الديني قائمًا فلن يقبلوا ذلك على ما كان ما لم يكن هناك الخوف من الموت ، اما اذا اخيفوا وارهبوا فقد يمكن ان يقبلوا . » وبعد ذلك ارجئ الموضوع الى تداول

الرأي فيه ، وقد تم تداول الرأي في ذلك ثلاث مرات ونوقش الموضوع من جميع نواحيه واخيراً تقرر ان يستقدم الامير بشير كبار شيوخ العقل لدى الدروز وان يقول لهم : ان امر هذا النظام قد اتبع في جميع العالم وقد اخذ [اي اخذ الضرائب وتجنيد العساكر وما الى ذلك] من جميع الممالك الداخلة في الحكومة المصرية ، وبما ان ترددكم في تقديم ذلك سيؤدي الى تكدر ولي النعم وحيث ان مولانا قد تفضل وامر امراً قاطعاً بوجوب اخذ الانفار المطلوبة منكم ومنحكم امتيازاً لم يمنحه سواكم حيث امهل به الدروز مدة خمسة عشر عاماً لاستخدامهم في الجندية فانكم اذا امتثلتم للامر وقدمتم من تلقاء انفسكم الانفار المطلوبة منكم تكونوا قد فزتم برضاء مولانا عنكم ووفقتم الى الاقامة في اوطانكم آمنين مطمئنين بالرفاهية ، اما اذا عمدتم الى التردد وابديتم الممنع فان قوة مولانا القاهرة معلومة لديكم اذ تؤخذ العساكر اذ ذاك من جبل الدروز كما اخذت من جبل القدس ، ونابلس ، والنصيريين . الا انه نظراً لخدمات الدروز السابقة قد اوفد مولانا ، حنا ، خصيصاً ، لتدبر امر اخذ العساكر المطاربة بواسطة النصح والارشاد ومن غير ان يقع في جبل الدروز مثل ما حدث في تلك الجبال من التأديب وخرق الحرمات . واني نظراً لمحبتي العظيمة لكم منذ القدم ، ورغبة في وقاية الجبل من ان يكون عرضة لنيران غضب ولي النعم — معاذ الله ثم معاذ الله — قد تعهدت بناء على تعهدكم بتقديم الانفار المطلوبة ، وقد التمست في العريضة التي اقدمها الآن عفو دولة مولانا ولي النعم عن التردد والامتناع الذي بدا منكم قبلاً مع ما قمتم به من تعهد . هذا ما استصوب ان يقوله الامير الموما اليه للشيوخ المذكورين على ان يطلب منهم في الوقت الحاضر انفار أورطة واحدة مكونة من ثمانمائة رجل ، على نحو ما تم توزيعهم على الشيوخ قبلاً وان يكتب الامير الى شيوخ المقاطعات نص ما سيقال لشيوخ العقل ، وقد كتبت في يوم الخميس الى شيوخ العقل بوجوب حضورهم . فقدموا في يوم الجمعة والقى عليهم الامير الموما اليه ، بحضور عبدكم ، البيان السالف الذكر فابدوا ما هنالك من اعذار دينية وقالوا : ان الدروز يؤثرون ان يفنوا جميعهم في اوطانهم على ان يتخلوا عن دينهم ، فلا يرضون الدخول في النظام . اما

اذا شاء مولانا ان يستخدم الدروز [كنفر عام] ( اي كعساكر غير نظامية ) فان العدد الذي يطلبه منهم بالتأ ما بلغ من اية جهة كانت ، يفنون انفسهم في سبيل خدمته . فاجيبوا : لو طلب من الدروز نحو خمسة او ستة الاف رجل [كنفر عام] وارسلوا في مهمة ما الى احدى الجهات فان الذاهبين يتركون اعمالهم بينما الباقون يتكلفون مبالغ وافرة لمدهم بالزاد ، على حين ان تقديم العساكر المطلوبة الآن يزيل هذين الضررين الجسيمين ، وعدا ذلك فان الحكومة ستقدم الى الانفار المطلوبة الرواتب والتعيينات والكساوي ، وهذا من شأنه عمار الجبل واطمئنان الاهالي ورفاهيتهم ، ولذا فانكم لو قدمتم هؤلاء الانفار لخدمتم مصالحكم . اما الاعذار الدينية فان المرء عندما يرى خطر الموت والخراب يجوز له ان لا ينظر في العذر ، فاذا ما قلتم في انفسكم : نجاوب الآن على هذا الوجه ، ومن ثم ، عندما نرى ذاك الخطر نسلم فان الوقت الحالي هو وقت الخطر تماماً فاذا اردتم دفع البلاء ، فافعلوا من الآن لان الندم في آخر الامر لا يجدي نفعاً . اما اذ قلتم — كما يصور لكم الوهم — اذا زحفت العساكر على الجبل ، ضربنا صفحاً عن محاذير الدين اذ ذاك وقدمنا الانفار المطلوبة ، فما من احد يرضى في ذاك الحين بالاكتفاء بمثل هذا العدد من الانفار ، ففكروا ملياً في وخامة العاقبة . وهنا وعدوا الامير بأن يجمعوا في هذا المساء جميع شيوخ العقل في جبل الشوف القريب منهم ويتشاوروا معهم في الامر ثم يعودوا في الصباح بالجواب الشافي ، ثم استأذنوا الامير في الانصراف وانصرفوا . وفي يوم السبت عادوا الى الامير وقالوا : ان جميع شيوخ العقل ووجوه الدروز ممتثلون للامر طائعون الا انه نظراً لعدم وجود رجال لدينا يصلحون لهذه المهمة [يقصد مهمة القبض على الانفار المطلوبة] فانهم [اي الانفار] يؤثرون الموت على تسليم انفسهم ، فاجيبوا : لا يطلب منكم القبض على هؤلاء الانفار واحضارهم ، اذ ان الحكومة هي التي ستتولى امر القبض عليهم لان الرجال الذين يراد تجنيدهم في اية جهة من الجهات لا يتقدمون الى الخدمة من تلقاء انفسهم وانما جرت العادة بان يقبض عليهم من قبل الحكومة بمساعي الشيوخ ودلالتهم . ولدى سؤالهم عما اذا كانوا سيسعون مثل شيوخ الجهات الاخرى عندما يشرع في اخذ الانفار المطلوبة من

الجبل ، على هذا الوجه ، فقالوا في شدة نحن نسعى ونبذل النصح ولكننا لا نستطيع ان نتكفل غير ذلك . والى هنا كان الامر قد اتضح ، الا ان الامير الموما اليه اجابهم قائلاً: بما انني لو احطت الان مولانا علماً بردكم لكانت النتيجة سيئة عليكم ، وحيث انكم قد تعهدتم على انفسكم ان تسلكوا سبل الصدق والاستقامة ، فانصرفوا وانصحوا الجميع ، لاني ساشرع في طلب الانفار المراد جمعها واخذها وساعرض على مولانا اني ساجمعها ، ذلك لاني ارى انه ليس ثمة من سلامة للجبل الا في اعطاء هؤلاء الانفار ، وبعد ذلك سمح لهم بالانصراف . هذا وقد اوفد بعض الرجال لاحضار شيوخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك الذين هم شيوخ المقاطعات لتداول الرأي معهم في هذا الموضوع والتنبيه عليهم بوجوب الشروع في طلب الانفار المراد جمعهم ، وفي يوم الاحد حضر هؤلاء الشيوخ ، ولما اخذ الامير الموما اليه يناقشهم في الموضوع ، بحضور عبدكم ابانوا صعوبة الامر — كشيوخ العقل — من جراء تشتت الدروز في الجبال ، وعدم بيوتتهم في منازلهم منذ ان علموا بموضوع هذا [النظام] الا انهم قالوا : نحن عبيد مولانا ونتعهد بان نخدمه بارواحنا واجسامنا ، الا ان القبض على هؤلاء الانفار امر لا طاقة لنا به ، ذلك لان النفور من هذا المشروع قد شمل الجميع اذ انه ليس من المعلوم من هم الانفار الذين سيجندون ومن هم الذين سيقون ، حتى ان اتباعنا انفسهم قد انضموا الى النافرين فبمن والحالة هذه نستطيع ان نقبض على الرجال الذين تقلدوا سلاحهم ونفروا الى الجبال . ولما ابدوا هذه الاعتذارات ، اجيبوا ان هذه الاعذار لا تقبل منكم ، لانه في استطاعة كل رجل منكم ان يقدم بضعة انفار ممن ربيتموهم ، كما يمكنكم تقديمهم بارضائهم بالمال واذا ما عمد بقية الشيوخ الى مثل هذه الطريقة تكون السبل قد مهدت لجميع الانفار المطلوبة وهان الامر ، وما دمتم تقولون ان جميع الدروز قد نفروا من هذا الامر وكل منهم يقول سيجندونني ، وذلك نظراً لعدم معرفة الانفار المطلوبة، فعلى كل منكم ان ينظم كشفاً باسماء الانفار المطلوبة من مقاطعته وان يعلن اهالي المقاطعة بما يحويه هذا الكشف من الاسماء ، حتى يزول الالتباس . ومن البداهة انكم اذا فعلتم ذلك اطمأن غير المطلوبين وانفرطت جموع النافرين

بطيئة الحال حيث يتسنى لكم اذ ذاك القبض على الاشخاص الذين دونتم اسامیهم واحضارهم بسهولة. ولما اقنعوا بهذا القول اجابوا: سنستعمل هذه الطرق الثلاث ونبذل الجهد في سبيل هـذه المهمة فاذا لم نوفق فيها ، قدمنا انفسنا واولادنا الى اعتاب ولي النعم ، واذا ما طلبنا للنظام قبلنا حتى لا نلام. وفي نهاية مناقشتهم في هذا الموضوع تقرر الشروع في العمل على هذا المنوال ، وعلى الرغم من انه يكاد ان لا يكون ثمة فائدة من هذه الخطط ، نظرًا لما شوهد من مواقف الدروز ، فقد استصوب ربط الموضوع بخيط من قطن ، في الوقت الحاضر — على امل انهم قد يقومون بعمل — وامرار الوقت على هذا النحو ، ريثما يرد امر ولي النعم ، والمفهوم بالنظر لاقوال عبدكم الامير الموما اليه ولما ابداه الـدروز من المحاذير الدينية وما شوهد من اوضاعهم انهم لا يقدمون عساكر بالاتفاق الودي ، ولكنهم عندما يرون شح البطش والدمار ماثلًا امامهم يجوز لهم في ديانتهم ان لا يراعوا المحـاذير الدينية فيجوز والحالة هذه ان يقدموا الانفـار المطلوبة ، بمجرد ان يروا حركات الجنود من بعيد ، اي في بعلبك والبقاع لان الخوف المشاهد فيهم منذ الان جد شديد ، ولاحاطة علم دولتكم قـد اقدمت على عرض الموضوع بالتفصيل ، والامر والارادة لحضرة مـن له الامر

العبد
(الختم) يوحنا بحري

رابطًا : عنقة ٢٥١ عابدين ترجمة اوتيفة $\frac{١٠٠}{٢١}$ ٢ بتاريخ ١٠ صفر سنة ٢٥١

من : ابراهيم
الى : صاحب المرحمة ولي نعمتي الخ

سيدي صاحب المرحمة ولي نعمتي الذي لا بين

كنت قد عرضت على اعتابكم العلية انني ، وفقًا لارادتكم قد كتبت الى عبدكم حنا بك بعدد قيامه الى حيث يوجد الامير بشير ، وقد توجه حنا بك اليه حيث ارسل الى عبدكم خطابين في موضوع الحديث الذي افضى به الى

الامير كما بعث الى الامير بشير خطاباً في هذا المعنى ، وقد قدمت هذه الخطابات الى اعتابكم من طي عريضتي، ومتى اطلع ولي النعم عليها وقف على كنه الامر، اني على صغر شأني اود ان استوضح مولاي بعض الامور : اكانت فكرة عدم جمع السلاح من جبل الدروز قائمة على ان الدروز لا يعمدون الى الخيانة اذا دعت الحاجة وانهم يخدمون مصالحنا ، ام هي لان جبل الدروز له شهرته منذ القدم فاردتم ان يظل على شهرته ، وان يحتفظ بسلاحه . فاذا كانت هذه الفكرة مبنية على ان الدروز يخدمون مصالحنا فانه لمن البداهة ان اهالي الجبل، الدروز منهم والنصارى ، اكثر الناس خبثاً وسيظهر خبثهم هذا بمجرد ان نطلب منهم المدد ، فاذا ما قيل انهم قد يعمدون الان الى العصيان فانهم لا يستطيعون ان يفعلوا اي شيء واذا فعلوا لا تتعدى افعالهم ما جاء بخطاب حنا بك . اما اذا كانت الفكرة منصرفة الى ان يحتفظ الجبل بشهرته ، فلا ينبغي ان يعتمد على مثل هذه الشهرة الكاذبة ، وان يفرط في القبض على ناصية الحالة فانه لمن الامور المعاومة لدى ولي النعم انه يجب معالجة الامر حسبما تقتضيه الظروف المشاهدة ، وعلى كل حال ، فان عبدكم جد قلق من جراء عدم وقوفي على حكمة عدم جمع السلاح من الجبل المذكور فتفضلوا ونجوني من هذا القلق ، والامر والارادة لمولاي

من انطاكية (الختم) سلام على
ابراهيم

وهنالك رسالة من الامير بشير الى بحري بك ، بتاريخ ١٢ صفر من السنة نفسها ، ترينا نموذجاً من اساليب الامير في ميدان السياسة المحلية ، واليك نصها :

خاصاً : محفظة ٣٥١ عابدين رقم ١٠٦ بتاريخ ١٢ صفر سنة ١٢٥١

غب الامنية والاشواق انه لا نقدر نشرح كمية ما نحاسبنا من الوحشة بعد فراق كوكب انسكم نسأل كرمه تعالى ان يمن بالتلاقي على احسن حال . ثم انه بعد توجه الجناب بالسلامة والامان بجهة اربعة ايام حررنا للمشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك سؤالاً او استفهاماً عما امروا به وكيف جرى الحال ونحتهم

ونحرضهم على فتح الباب بهذه المأمورية فورد من المذكورين الجوابات وهي واصلة ضمن نميقة الوداد لكي بمطالعتها يصير معلوم الجناب فحواها واما عامة الدروز فحالهم كما فارقتموه لا زاد ولا نقص وكلامهم لم يزل مثل الاول ولاجل افادة الجناب بذلك اقتضى ترقيم الوكة الوداد راجين الافادة بما يحسن لدى رايكم ودام بقاكم ١٢ ص سنة ٢٥١

محبكم
بشير شهاب

اما فحوى الاجوبة التي وردت على الامير من بني تلحوق وبني عبد الملك فانها ما يلي، واللفظ للشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق : « كما لا يخفى شريف علم سعادتكم شراسة الاطباع وظعف البصيرة الذي تم معهم الان ان جميعهم طايعين الى امر سعادتكم العالي مقدمين ذواتهم لكلما يصدر به امركم غير ان مترجين مراحمكم ان لا يكونوا بداية لسبب امر الديانة فقط »[1]

ومما لا بد من الاشارة اليه بهذه المناسبة ما ورد من ابراهيم باشا الى سامي بك، احد كبار الموظفين في «مصر» بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٥١ اذ يقول: «مع انه محتمل ان تكون القوى التركية التي ارسلت الى الحدود السورية بقيادة محمد رشيد باشا قد اوفدت لتحريض الدروز فاني اعتقد ان القصد الرئيسي من ارسالها هو تعزيز السلطة في تلك الجهات لاجل اخماد الثورة الكردية.»

ثم يتبع هذا التقرير كلام لمحمد شريف باشا، حكمدار الايالات السورية جميعاً، مؤرخ في ٩ جمادى الاولى من السنة التالية، ننشره بكامله لعلاقته بالثورة الدرزية. ولعله ارسل الى سامي بك الوارد ذكره آنفاً. وننشر بعده رسالة للامير في الموضوع نفسه

.. سادساً : محفظة ٣٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٩ جمادى سنة ١٢٥٢

حضرة عزيزي الاخ السامي الهمم العالي الشيم صاحب العناية والعاطفة والمروءة

بلغ مسامع جناب الخديوي ان بعضاً من طائفة الدروز ارتدوا عن دينهم

١) عابدين محفظة ٢٥١ رقم ١٠٦

« تنصروا » ولكن لم يعلم صحة هـذا الخبر او عدم صحته على انه ان كان صحيحاً فان ضرره على الدين والملك امر مسلم فيلزم قبل كل شيء النظر في الحيلولة دون وقوعه وعليه فقـد ورد لي امر شريف خديوي بتاريخ ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ بان اكتب من طرفي لحضرة الامير بشير ليحقق هذه المسألة خفية ويعرض نتيجة تحقيقـه فبالحال كتبت الى حضرة المير المومى اليه استعلم منه عن مدى صحة ذلك فجاء منه الجواب عربياً مفصلاً وها هو مرسـل لطرفكم العـالي ضمن كتابنا هذا ويوصوله ان شاء الله تعالى تعرضونه على اعتاب جناب الخديوي وهذا ما هو منحنى من حسن همتكم ولطف مروءتكم

من اللاذقية (الختم) محمد شريف

سابعاً : محفظة ٢٥٣ عابدين رقم ١٦٦ بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٢

علي الهمم افندم سلطانم المفخم ادام الله تعالى دولته

غب لثم الراحات الكريمة نعرض انه بايعـن طالع تشرفنا بورود المرسوم الكريم المشير فحواه الوسيم ان دولتكم تشرفتم بورود امر عالي خديوي يشير فحواه العالي الخطير انه بلغ تلك المسامع الشريفة ان بعض طائفة الدروز الذين في الجبـل صاروا مرتدين اي صاروا عيسويين وصدر امر دولته السامي ان تستفسروا من عبدكم هذا خفيةً عن ذلك لاجل اعراض ما تحققه لعاتبك السدة العالية فقد صار ذلك قرين الاذعان فاما حقيقة هذه القضية هو انه كان بعض الاشخاص وقليل جداً جداً اراد التـداخل بالطريقة العيسوية فاظهرنا التنبيه والتشديد الكلي وابدينا كمال التهديد بالسطوه الخديويه العليه فانقطع هـذا المبدى وخمدت نار هذه الشهوه لكن كما لا يغرب عن النيره الشفافه انه موجود في الجبل طايفة امرا يقال لهم بيت ابي اللمع فهذه الطايفه في الزمن القديم كانوا دروز وتداخلوا في الطريقه العيسويه رويداً رويداً الى ان صاروا جميعهم عيسويين وذلك من مدة اربعين خمسين سنة ولم يبق منهم على طريقة الدروز احد الى عصرنا هذا سوى الامير احمد قايد بيه المقيم في قرية برمانا واولاد الامير نصر مراد المقيمين في المتين وهم الامير سلمان والامير موسى والامير يوسف فالامير

احد لم يزل باقياً على طريقة الدروز واما اولاد الامير نصر الثلاث المذكورون كانوا بهذا الوقت ارادوا الدخول بالطريقه العيسويه لكنهم لما سمعوا بالتهديد والتشديد الذي حصل من عبدكم تركوا ما كانوا عزموا عليه والان حينما صدر امر دولتكم بالفحص عن هذه القضيه فحصنا ودققنا وحققنا فوجدنا ان الامرا الثلاثه اولاد الامير نصر المذكورين قد دخلوا في الطريقه العيسويه سرًّا ولم يزالوا مصرين عليها وغيرهم من طايفة الدروز لم يدخل منهم احد في العيسويه لا سرًّا ولا جهرًا لا من الاكابر ولا من الاصاغر فهذا ما تحققناه واكدناه من حال هذه القضية اعرضناه جليًّا والامر لولي الامر وادام الله تعالى دولتكم

في ٢٥ ر سنة ٢٥٢

بنده

بشير شهاب

يتضح اذًا مما تقدم ان الدروز لم يمتنعوا عن الخدمة العسكرية الاجبارية لخوفهم من الحرب او لقلة شجاعتهم. وان الحكومة المصرية في ذلك الوقت ، وان شكّت في نيات الاستانة ، فانها لم تلمس حقيقة واهنة تستنتج منها ان السبب في قيام الدروز هو تحريض الباب العالي. ثم يظهر من كلام الامير ، وتقارير بجري بك ومحمد شريف باشا واشارة الشيخ حسين تلحوق والشيخ حمد تلحوق، ان امر الديانة كان من الاسباب الرئيسية لتمنّع الدروز في امر الخدمة العسكرية . ذلك ان عقلاءهم وشيوخهم رأوا في التجنيد الاجباري واختلاط «جهالهم» مع غيرهم من الشبان من سائر الفرق والاديان ، رأوا في ذلك ، بحق او بغير حق ، خطرًا على دينهم السرّي قد يؤدّي مع مرور الزمن الى ضعف في العقيدة وفتور في الدين

وفي الختام لا بدّ لنا من رفع آيات الشكر الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول لمتابعته سياسة والده العظيم في تنشيط العلم وتشجيع الابحاث التاريخية.